وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

# مكة المكرّمة والحوار الإسلامي العالمي

رضوان السيد الحياة - 07/06/08//

«وأذِّنْ في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتين من كلّ فجٍ عميق ليشهدوا منافعَ لهم...» (سورة الحج: 27). نعم، لقد أتت الوفود الزاخرة الى مكة المكرَّمة هذه المرة، ليس للحج، لكن ليشهدوا منافع لهم بالفعل. لقد جاؤوا بدعوة من رابطة العالم الإسلامي الى مؤتمر للحوار، يجددون فيه علاقتهم بدينهم وأنفسهم وبالعالم من حولهم. فدعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لحوار الأديان ما كانت بنتَ ساعتها، بل سبقتها زيارة له لبابا الفاتيكان، ثم انصرفت الجهات المختصة بالمملكة للإعداد لإنفاذ دعوة الملك العامة والشاملة على أثر كلمة له أيضاً في مناسبة للحوار في شأن العلاقات مع اليابان. وهكذا فقد كانت الدعوة الملكية دعوة لتغيير المسار في العلاقة بالنفس والعالم. وهذا هو ما ظهر في كلمة الملك في افتتاح مؤتمر مكة الذي يحضره مئات المفكرين العرب والمسلمين. شخَّص الملك المشكلة التي تواجه المسلمين اليوم في أنها مع التطرف الديني الذي أدّى الى انقسامات داخلية في العالمين العربي والإسلامي، والذي أدى أيضاً الى ظهور رؤية مُقبضة للعالم تعتبره خطراً على الدين والأمة. ولذلك فقد آن الأوان بعد أحداث العنف والانقسام بداخل أمتنا ومجتمعاتنا ومواجهات مع العالم، لمراجعة النفس، وصُنع توجه جديد ومنفتح لمناقشة قضايانا العامة، والانصراف لترميم علاقاتنا بالعالم، وجلاء الغبار عن الوجه الوضاء للدين الحنيف، وللأمة السمحاء.

إن الأمر اليوم، لا يتمثل في تشكيل وفد للحديث مع الكاثوليك أو البروتستانت أو الديانات الآسيوية، فقد سبق للمملكة أن أرسلت وفداً للفاتيكان آخر الستينات من القرن الماضي. كما أن العرب والمسلمين الآخرين أفراداً وجماعات، سبق أن خاضوا نقاشات وجدالات مع الكنائس المسيحية منذ الخمسينات. الأمر اليوم يتمثّل في تحديد مَن نحن وماذا نُريد، وكيف نتصور العلاقات داخل الأمة على شتى مذاهبها وتوجهاتها. فقد مضت علينا عقود توقّف خلالها الحديث في ما بيننا، وشاع التشدد والتشرذم والانقسام، واعتبرت كل فرقة أن الإسلام مهدد، وأنها تريد استنقاذه بالحل الذي ترتئيه هي، وليس أي أحد آخر. أما الآخر الداخلي أو الخارجي فهو مهدد بالقتل أو التكفير أو العمليات الانتحارية. وبحجة أن الآخرين معتدون حُكماً وواقعاً، فلا حاجة للحديث معهم، بل لا بد من مواجهتهم وبشتى الوسائل. وعلى فرض أن الآخر الخارجي تهديد بالفعل، فكيف تستطيع فرقة من المسلمين – وهي تتصرف ليس بالنيابة عنهم، بل بالوكالة عن الله عزّ وجلّ وباسم شريعته! – أن تقرر إدخال الأمة في حروب لا تتوقف، وبالداخل والخارج، وكل ذلك لإسقاط التهديد، بينما هي تزيد في الواقع من الأخطار على الأمة والدين، وتضع العالم كله في مواجهة المسلمين والإسلام.

لقد ذكرتُ في مقالة سابقة أن الحوار مهمة ومسؤولية. وقد كان الأمر من قبل أن المهدَّد لدينا هو الشأن الدنيوي والدولتي. وبدلاً من الانصراف الى التغيير والتنمية من أجل النهوض بذاك الشأن، انصرف المتحمسون للإسلام للدفاع عن الدين المهدَّد وليس بناء الدنيا الصالحة. وكانت النتيجة أن اختلَّ الشأنان معاً: الدنيوي والديني، وأُضيفت لذلك، أو وقع في تداعياته، تلك الحملة العالمية على الإرهاب الذي التصق بالإسلام، فقيل إنه الإرهاب الإسلامي! وهكذا فإن الحوار اليوم من أجل إصلاح الشأنين هو مهمة عاجلة، وهو مسؤولية تجاه الإسلام وتجاه العالم. فديننا هو هويتنا وهو جهر وجودنا، نحن جزء من العالم، لا نستطيع الانفصال عنه (فنحن خُمس سكانه!) أو نهلكَ ونتشرذم. ويقول الصارخون والمتصدّرون في وسائل الإعلام والحزبيات: إنّ الشأنين القومي والإسلامي ضائعان، لولا حركات الممانعة المُقاتلة. والذي يعرفه العقلاء والقوميون والأُصلاء أنه حتى مشروع تحرير فلسطين إن لم يَعُد مشروع الأمة كما كان، فلن تكون له قيمة فضلاً عن استحالة تحقيقه!

ينصرفُ علماءُ مؤتمر الحوار الإسلامي بمكة خلال الأيام الثلاثة للمؤتمر لإلقاء محاضراتهم عن الحوار وقضاياه، والإسلام ومُشكلاته، ومستقبل العلاقة بالذات والعالم، في التأصيل والآفاق. وفي ذلك ولا شك محاولة لنشر وعي جديد بالمسائل كلِّها، والتي غابت طوال أكثر من عقدين، وسط تشرذمات المشاريع والخطط، وثنائيات النضال والتحرير، واتهامات الخيانة والتكفير. ولذا فالحوار مهم ومهم جداً بالنسبة الى المسلمين في ما بينهم، لأنه يمثّل حاجة لتغيير الرؤية المقبضة التي سادت عن أنفسهم وعن العالم من حولهم. وهو مهم ومهم جداً للتواصل مع شباب الأمة، الذين أضاعت الخلافيات صوابهم ووضعتهم في مجالات ومساحات التجاذب والتمزُّق. فجلاء المفاهيم، أياً يكن الذين يرفضون ويستنكرون ولا يقبلون، ضروري من أجل مسار جديد للوحدة، ومسارات جديدة للتفاهم. والحوار أخيراً مهم ومهم جداً لصورة أُخرى لنا في العالم وأمامه. ففي الوضوح والضوء نأتي لحوار الأديان والثقافات، ونحن نعرف والآخرون يعرفون، مَن نحن وماذا نريد، بعد طول نزاع وتجاذب، وهوانٍ على النفس والغير. وسينهمك كثيرون في وضع نصوص واشتراطات على النفس والآخر، وحرية الرأي والاختلاف محمودة وينبغي أن تبقى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مَصونة. لكن الاتجاه الجديد لا يمكن إيقافه أو منعه، بعد أن صار ضرورة حياة ووجود. ذلك أن الوقت ليس وقت الاشتراكات، بل هو وقت فتح المنافذ المسدودة، والآفاق التي غادرها الضوء منذ زمن. فنحن لا نستطيع البقاء رهن المخاوف والهواجس، لا نقدم إلا انتحاراً، ولا نتراجع إلا خوفاً وإحجاماً. ومن حولنا وفي أوساطنا شبان يضعون أنفسهم وأمتهم في مواطن النزاع والتفرقة، ويخوضون في الدم والدمع لا لشيء إلا لأنهم يرون الحق وحسب في آرائهم الخاصة، ومنازعهم الآنية، ويُذيقون أمتهم الغَصَص، في الوقت الذي تتداعى علينا الأُمَمُ كما تتداعى الأَكَلة على القصعة. وقد تساءل الملك في افتتاحه لمؤتمر الحوار الإسلامي العالمي عن أسباب ضياع التسامح والاعتدال اللذين عُرف بهما الإسلام، في الزمن الذي يكون المؤمن القابض على دينه كالقابض على الجمر. وبروز تحديات الانغلاق والجهل وضيق الأُفق.

نحن لا نريد أن نُخيف العالم ولا أن نخاف منه. وبين هذين الحدّين القاصيين يقع خط الوسط المستقيم، الذي لا تريد أمتنا مغادرته أياً تكن الأسباب، لأن في ذلك ضياع الانتماء والمصالح، والإصغاء للغلو باسم الحرص عليهما بالذات، وإنما ينال الذئب من الغنم القاصية. ومع تسديد الرؤية في المرحلة الأولى، يأتي التوجه لمحاورة الآخرين والإصغاء لآرائهم ومطامحهم بعيون دين الدعوة والتذكرة، ودين الأمة المستجيبة والأخرى المدعوة. والله سبحانه وتعالى يدعونا الى التسابق في فكر الخير وعمله: «فاستبِقوا الخيرات». والخير إذا نما وتكاثر فاض على المحيط، وإذا ضمر وانكمش، جرى التماسه بعيداً من أمتنا ومسالكها، كما يحدث منذ زمن لقد تراجعت فكرة الجماعة، وتحاول الانشقاقات الثائرة أن تحلّ محلّها. ورسول الله (صلى الله عليه وسلّم) يقول: الخير بي وبأمتي الى يوم القيامة. فبالخير الذي نتملكه وننمّيه نريد المشاركة في العالم. والمسلم يدعو في صلاته أن يريه الله الحق ويرزقه اتّباعه، وأن يُرِيَهُ الباطل باطلاً ويرزقه اجتنابه: «أما الزبد فيذهب جُفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض». صدق الله العظيم.

This file was downloaded from QuranicThought.com